



المقالة الرابعة

في

مولد سيد الأنام عند علمائنا الأفهام

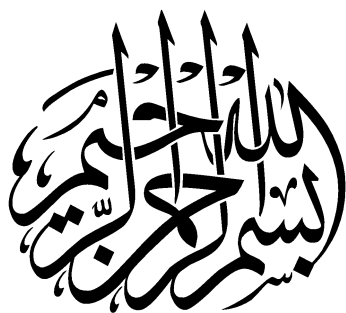
تأليف:

مولوى محمد ابراهيم سيفي



مشخصات الرسالة

اسم الرسالة:	المقالة الرابعة في مولد سيد الأنام عند علمائنا الأفهام
تأليف:	مولوي محمد ابراهيم السيفي
تحرير :	محمد صادق صديقي. sedeqi.abozia786@gmail.com



- المقدمة..... ١
- أول المحتفلين بالمولد النبوي ﷺ..... ٢
- قول الحافظ ابن حجر العسقلاني في المولد..... ٢
- قول الحافظ جلال الدين السيوطي في المولد..... ٣
- قول الحافظ شمس الدين ابن الجزري في المولد..... ٣
- قول الحافظ شمس الدين ابن ناصر الدين الدمشقي في المولد..... ٤
- هل يشترط أن يكون إحتفالنا بالصيام..... ٤
- أدلة جواز الإحتفال بمولد النبي ﷺ..... ٥
- هل كل ما لم يفعله السلف ولم يكن في الصدر الأول بدعة منكراً؟..... ٨
- ينبغي أن يكون الإحتفالات خاليا من المنكرات..... ١٠
- رأي الشيخ ابن تيمية في المولد..... ١١
- وجود المنهيات في محافل المولد..... ١٢
- دفع الشبهات والاعتراضات..... ١٤
- الملك المظفر الكوكبري من هو؟..... ١٥
- أقوال أنمة الهدى في الإحتفال بالمولد..... ١٥
- إزالة الشبهة..... ١٧

المقدمة

الحمد لله الذي زين النبيين بحبيبه المصطفى، ومن على المؤمنين بنبيه المجتبي، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد الورى، وعلى آله وأصحابه وأحبابه المتأدبين بالتقوى.

أما بعد، فيا أيها الإخوان والأخوات : قبل أن نبحت في متن الموضوع نحتاج إلى ثلاث مقدمات :

الأول : إننا نحتفل بمولد سيدنا محمد ﷺ دائما وأبدا في كل وقت وفي كل مناسبة وعند كل فرصة يقع فيها فرح أوسرور ونشأة، ويزداد ذلك في شهر مولده وهو «الربيع»، وفي يوم مولد وهو «الإثنين»، ولا يصح لعاقل أن يسأل لما ذا تحتفلون...؟ لأنه كأنه يقول، لماذا تفرحون بالنبي ﷺ، وكأنه يقول، لماذا يحصل عنكم هذا السرور، وهذا الإبتهاج بصاحب الأسراء والمعراج. فهل يصح أن يصدر هذا السؤال من مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله؟ لأنه سؤال بارد لا يحتاج إلى جواب، و يكفي أن يقول المسؤل في الجواب أنا أحتفل لأنني مسرور وفرح به ﷺ، وأنا مسرور وفرح به ﷺ، لأنني محب له ﷺ، وأنا محب له ﷺ لأنني مؤمن.

الثانية : أننا نعني بالاحتفال «الإجتماع» لسماع سيرته ﷺ وسماع المدائح التي تقال في حقه، وإطعام الطعام، وإكرام الفقراء والمحتاجين، وإدخال على قلوب المحبين وإزدياد المحبة.

الثالثة : أننا لا نقول بان الاحتفال بالمولد المذكور في ليلة مخصوصة، وعلى الكيفية المعهودة، لدينا مما نصت عليه الشريعة صراحة، كما هو الشأن في الصلاة والصوم وغيرهما، إلا أنه ليس فيها ما يمنع من ذلك، لأن الإجتماع على ذكر الله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، ونحو ذلك من وجوه الخير مما ينبغي الاعتناء به كلما امكن لا سيما في شهر مولده، لأن الداعي فيها أقوى لإقبال الناس وشعورهم الفياض بإرتباط

الزمان بعضه ببعض، فيتذكرون الماضي بالحاضر وينتقلون من الشاهد إلى الغائب. ونقول للناس : ليس المقصود من هذه الإجتماعات مجرد الإجتماعات والمظاهر، بل إن هذه وسيلة شريفة الى غاية شريفة وهي كذا وكذا. ومن لم يستفد شيئاً لدينه فهو محروم من خيرات المولد الشريف.

أول المحتفلين بالمولد النبوي ﷺ

إن أول المحتفلين بالمولد هو صاحب المولد، وهو النبي ﷺ، كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم لما سئل عن صيام يوم الاثنين قال ﷺ: «ذاك يوم ولدت فيه». فهذا أصرح نص في مشروعية الإحتفال بالولد الشريف. ولا يلتفت لقول من قال إن أول من إحتفل به الفلان والفلان، لأن هذا إما جهل أو تعام عن الحق.

قول الحافظ ابن حجر العسقلاني في المولد

قال الإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني: وقد ظهر لي تخريجه على أصل ثابت في الصحيحين، أن النبي ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون، ونجى موسى ﷺ، فنحن نصومه شكراً لله تعالى، فقال ﷺ: «أنا أحق بموسى منكم» فصامه وأمر بصيامه. فيستفاد منه فعل الشكر لله تعالى على ما من به في يوم معين من إعطاء نعمة أو دفع نقمة، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة، والشكر لله ﷻ يحصل بانواع العبادات، كالسجود، والصيام، والصدقة، وتلاوت القرآن. وأي نعمة أعظم من نعمة بروز هذا النبي ﷺ نبي الرحمة في ذلك اليوم، كما قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ مَنَّ

اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا﴾ [التغابا ١٦٤].^١

^١. الحاوي للفتاوى : ج ١، ص ١٨٨. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد : ج ١، ص ٣٦٦. موسوعة الدفاع عن رسول الله ﷺ : ج ٤، ص (٨٣).

قول الحافظ جلال الدين السيوطي في المولد

قال رحمه الله: وقد ظهر لي تخريجه على أصل آخر وهو ما أخرجه البيهقي عن أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وآله عق عن نفسه بعد النبوة، مع أنه قد ورد أن جده عبد المطلب عق عنه في سابع ولادته، والعقيقة لا تعاد مرة ثانية، فيحمل ذلك على أن الذي فعله النبي صلى الله عليه وآله إظهارا للشكر على إيجاد الله تعالى إياه رحمة للعالمين، وتشريع لأُمَّته صلى الله عليه وآله، كما كان يصلي على نفسه لذلك. فيستحب لنا أيضا إظهار الشكر بمولده صلى الله عليه وآله بإجتماع الإخوان، وإطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه القربات والمسرات.^١

قول الحافظ شمس الدين ابن الجزري في المولد

وقال الحافظ السيوطي رحمه الله: ثم رأيت إمام القراء الحافظ شمس الدين ابن الجزري رحمه الله قال في كتابه المسمى (عرف التعريف بالمولد الشريف) ما نصه لقد روئي أبو لهب بعد موته في النوم فقيل له ما حالك؟ فقال: في النار، إلا أنه يخفف عني كل ليلة إثنين وامص من بين إصبعي هاتين ماءً بقدر هذا، وأشار لرأس إصبعه، وإن هذا باعताقي لثوية عند ما بشرتني بولادة النبي صلى الله عليه وآله وبارضاعها له.

فإذا كان أبو لهب الكافر الذي نزل القرآن بذمه، جوزي (في النار) بفرحة مولد النبي صلى الله عليه وآله به، فما حال المسلم الموحد من أمة النبي صلى الله عليه وآله يسر بمولده، ويبذل ما تصل قدرة في محبته صلى الله عليه وآله؟

لعمرى إنما يكون جزاؤه من المولى الكريم، أن يدخله بفضل جنات النعيم.

^١ . سبل الهدى والرشاد : ج ١ ، ص ٣٦٧ . الحاوي للفتاوى : ج ١ ، ص ١٨٨ .

قول الحافظ شمس الدين ابن ناصر الدين الدمشقي في المولد

قال في كتابه المسمى (مورد الصافي في مولد الهادي) قد صح أن أبالهه
يخفف عنه عذاب النار في مثل يوم الإثنين لإعتاقه ثوبه سروراً بميلاد
النبي ﷺ ثم أنشد:

إذا كان هذا كافراً جاء ذمه
بتبت يده في الجحيم مخلداً
أتى أنه في يوم الإثنين دائماً
يخفف عنه للسرور بأحمد
فما الظن بالعبد الذي طول عمره
بأحمد مسروراً ومات موحد

هل يشترط أن يكون إحتفالنا بالصيام

فإن قيل: أن النبي ﷺ اعتنى بيوم مولده بالصيام، وأنتم تحتفلون بالإجتماع
وغيره من أنواع القربات، والأعمال التي لم يفعلها النبي ﷺ في هذا
اليوم، وهذا من البدعة؟

قلنا: إن هذا يرجع إلى كيفية الإحتفال وهيئته، والكيفيات المطلقة مسائل
الإجتهادية، وهو ليس محل بحثنا، لأن محل البحث هو مسألة الإعتناء
بمولده ﷺ هل ثبت أم لا؟ أما كيف أعتني وكيف أهتم، فهذا مفتوح للأمة
بحسب إجتهادهم ونظرهم واحوالهم، مثل هذا كثير من الأمور الإجتهادية
التي ثبت أصلها، وترك كيفيتها وهيئتها للامة وهي عشرات بل مئات
المسائل.

يأتي في الدرجة الأولى القرآن الكريم الذي لا يخالف أحد في فضله
وفضل حفظه وشرف تعليمه وشرف حملته و معلميه، لكن هل هناك
كيفية أو طريقة لابد من اتباعها في سبيل نشره وتعليمه وحفظه؟ الجواب
متروك للقاري.

والواقع بين يديه ظاهر واضح كالشمس، يرى فيه المدارس القرآنية والجمعيات والجوائز والشهادات والندوات والمسابقات والآلات الحديثية لقراءة القرآن، والمطابع والتفنن في إخراج المصاحف طبعا و ورقا وشكلا ورسما وحرفا ولونا وتجليدا على إشكال ونماذج متعددة متنوعة فاخرة ماهرة تسر الناظرين تقرأ عيون المؤمنين. فهل هذا كله كان على عهد رسول الله ﷺ ؟

أدلة جواز الاحتفال بمولد النبي ﷺ

الأول: إن الفرح به ﷺ مطلوب بأمر القرآن من قوله ﷺ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ يُؤَنَّب: ٥٨. فإن الله ﷻ أمرنا أن نفرح بالرحمة، والنبي ﷺ أعظم رحمة قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأَنْبِيَاءُ: ١٠٧. فقد روى أبو الشيخ عن ابن عباس ؓ في الآية قال: فضل الله تعالى العلم، و رحمته محمد ﷺ^١.

فا الفرح به ﷺ مطلوب في كل وقت وفي كل نعمة وعند كل فضل، ولكنه يتأكد في كل يوم الإثنين، وفي كل شهر ربيع، لقوة المناسبة وملاحظة الوقت. و معلوم أنه لا يغفل عن المناسبة ويعرض عنها في وقتها إلا مغفل أحمق.

وأن النبي ﷺ كان يلاحظ ارتباط الزمان بالحوادث الدينية العظمى التي مضت وانقضت، فإذا جاء الزمان الذي وقعت فيه، كان فرصة لتذكرها وتعظيم يومها لأجلها، ولأنه ظرف لها.

وقد أصل النبي ﷺ هذه القاعدة بنفسه ﷺ في صوم يوم عاشوراء، وفي فضل يوم الجمعة، حيث قال: «فيه خلق آدم».

^١ . الدر المنثور للسيوطي : ج ٣ ص ٣٠٨ .

الثاني: أن الإحتفال بالمولد النبوي الشريف تعبير عن الفرح والسرور بالمصطفى ﷺ وقد انتفع به الكافر. فقد جاء في صحيح البخاري، أنه يخفف عن أبي لهب كل يوم إثنين بسبب عتقه لثويبة جاريته لما بشرته بولادة المصطفى ﷺ.

وهذا الخبر رواه البخاري في كتاب النكاح، نقله الحافظ ابن حجر في الفتح، ورواه الإمام عبد الرزاق الصنعاني في المصنف.^١ والحافظ البيهقي في دلائل النبوة، وابن كثير في سيرة النبوة من البداية والنهاية.^٢ والحافظ البغوي في شرح السنة.^٣ وابن هشام والسهيلي في روض الأنف.^٤ والعامري في بهجة المحافل.^٥ ...

وهذه الرواية وإن كانت مرسلة إلا أنها مقبولة لأجل نقل البخاري لها وإعتماد العلماء من الحفاظ لذلك، ولكونها في المناقب والخصائص لا في الحلال والحرام. وطلاب العلم يعرفون الفرق في الإستدلال بالحديث بين المناقب والأحكام. وأما إنتفاع الكفار بأعمالهم ففيه كلام بين العلماء ليس هذا محل بسطه، والأصل فيه ما جاء في الصحيح من التخفيف عن أبي طالب بطلب رسول الله ﷺ.

الثالث : ما رواه مسلم في الصحيح في كتاب الصيام، عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن صيام يوم الإثنين، فقال: «فيه ولدت وفيه أنزل علي». وهذا في معنى الإحتفال به إلا أن الصورة مختلفة لكن المعنى موجود سواء كان ذلك بصيام، أو إطعام طعام، أو إجتماع على ذكر أو صلاة، أو سماع شمائله الشريفة.

١ . مصنف عبد الرزاق : ج ٧ ص ٤٨٧.

٢ . البدايه والنهاية : ج ٢ ص ٢٧٣.

٣ . شرح السنة : ج ٥ ص ٦٠.

٤ . الروض الأنف : ج ٥ ص ١٩٢.

٥ . بهجة المحافل : ج ١ ص ٤١.

الرابع : أن المولد الشريف يشتمل على ذكر مولده الشريف ومعجزاته وسيرته والتعريف به، أولسنا مأمورين بمعرفته ومطالبين بالإقتداء به والإيمان بمعجزاته والتصديق بآياته. ومجالس المولد تؤدي هذا المعنى تماماً.

وأن معرفة شمائله ومعجزاته وإرهاباته تستدعي كمال الإيمان به ﷺ وزيادة المحبة إذ الإنسان مطبوع على حب الجميل خلقاً وخلقا علماً وعملاً حالاً واعتقاداً ولا أجمل ولا أكمل ولا أفضل من أخلاقه وشمائله ﷺ وزيادة المحبة وكمال الإيمان مطلوبان شرعاً فما كان يستدعيهما فهو مطلوب كذلك.

الخامس : التعرض لمكافاته بأداء بعض ما يجب له علينا ببيان أوصافه الكاملة وأخلاقه الفاضلة. وقد كان الشعراء يفدون إليه ﷺ بالقصائد ويرضى عملهم ويجزيهم على ذلك بالطيبات والصلوات، فإذا كان يرضى عن مدحه فكيف لا يرضى عن جمع شمائله الشريفة؟ ففي ذلك التقرب له ﷺ بإستجلاب محبته ورضاه.

السادس: أن تعظيمه ﷺ مشروع في كل وقت، والفرح بيوم ميلاده الشريف بإظهار السرور، ووضع الولائم والإجتماع لذكر وإكرام الفقراء، من أظهر مظاهر التعظيم والإبتهاج والفرح والشكر لله ﷻ بما هدانا لدينه القويم.

السابع: أن المولد أمر استحسنة العلماء والمسلمون في جميع البلاد وجرى به العمل، فهو المطلوب شرعاً للقاعدة المأخوذة من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح». ^١

^١ . أخرجه احمد. والمعجم الكبير للطبراني : ج ٩ ص ١١٢.

الثامن : أن الله ﷻ قال: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ هُؤ: ١٢٠. يظهر منه أن الحكمة قص أنباء الرسل عليهم السلام تثبتت فؤده الشريف بذلك، ولا شك أننا اليوم نحتاج إلى تثبيت أفئدتنا بأنبيائه وأخباره أشد من إحتياجه هو ﷺ.

التاسع : كل خير تشمله الأدلة الشرعية ولم يقصد بإحداثه مخالفة الشريعة ولم يشتمل على منكر فهو من الدين كما هي قاعدة عند الفقهاء.

العاشر : أن الإحتفال بالمولد إحياء لذكر المصطفى ﷺ وذلك مشروع عندنا في الإسلام. فأنت ترى أن أكثر أعمال الحج إنما هي إحياء لذكرات مشهودة ومواقف محمودة. فالسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار، والذبح بمنى كلها حوادث ماضية سابقة يحيي المسلمون ذكرها بتجديد صورها في الواقع، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ الْحَجَّ: ٢٧. ﴿وَأَرَادَمْنَا سَكَنًا﴾ البَقَرَةُ: ١٢٨.

هل كل ما لم يفعله السلف ولم يكن في الصدر الأول بدعة منكرة؟

وظن بعض الناس أن كل ما لم يفعله السلف ولم يكن في الصدر الأول فهو بدعة وكل بدعة ضلالة ؟

قلنا لا نسلم أن كل ما لم يفعله السلف ولم يكن في الصدر الأول فهو بدعة منكرة سيئة يحرم فعلها ويجب الإنكار عليها، بل يجب أن يعرض ما أحدث على أدلة الشرع فما اشتمل على مصلحة فهو واجب، أو على محرم فهو حرام، أو على مكروه فهو مكروه، أو على مباح فهو مباح، أو على مندوب فهو مندوب، وللوسائل حكم المقاصد.

ثم قسم العلماء البدعة إلى خمسة أقسام :

❁ **واجبة :** كالرد على أهل الزيغ ، وتعلم النحو ...

❁ ومندوبة : كإحداث الربط والمدارس والأذان على المنائر وصنع

إحسان لم يعهد في الصدر الاول.

❁ ومكروهة : كزخرفة المساجد.

❁ ومباحة : كإستعمال المنخل والتوسع في المأكّل والمشرب.

❁ ومحرمة : وهي ما أحدث مخالفا للسنة ولم تشمله أدلة الشرع ولم

يحتوي على مصلحة شرعية.^١

ليست كل بدعة محرمة، ولو كان الأمر كذلك لحرم جمع أبي بكر وعمر وزيد عليهم السلام القرآن وكتبه في المصاحف خوفا على ضياعه بموت الصحابة القراء عليهم السلام، ولحرم جمع عمر عليه السلام على إمام واحد في صلوة القيام مع قوله «نعمت البدعة هذه»، ولحرم التصنيف في جميع العلوم النافعة، ولوجب علينا حرب الكفار بالسهم والأقواس مع حربهم لنا بالرصاص والمدافع والدبابات والطائرات، ولحرم الأذان على المنائر وإتخاذ الربط والمدارس والمستشفيات و دور اليتامى والسجون. فمن ثم قيد العلماء عليهم السلام حديث كل بدعة ضلالة بالبدعة السيئة، ويصرح بهذا القيد ما وقع من أكابر الصحابة والتابعين من المحدثات التي لم تكن في زمنه عليه السلام.

ونحن اليوم قد أحدثنا مسائل كثيرة لم يفعلها السلف كالجلسة والإجتماع في آخر الدورة للأحاديث والتفسير والدورة الصغرى والكبرى في المدارس، وكختم المصحف بالجمعية وكقراءة دعاء ختم القرآن في التراويح، وكترئيد الدواوين في المحاكم والدفاتر وغير ذلك من الأمور التي لم يفعلها النبي صلى الله عليه وآله ولا أحد من السلف، فهل يكون فعلنا لها بدعة.

١ . الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي : ج ١ ص ٣٢٦. سبل السلام : ج ٢ ص ٤٨. شرح البلوغ لعبد الرزاق بن همام الصنعاني : ج ١ ص ٣٣١. شرح الأربعين للعطية بن سالم من قول القرافي المالكي.

الإحتفال بالمولد وإن لم يكن في عهده ﷺ فهو بدعة ولكنها حسنة لإندراجها تحت الأدلة الشرعية والقواعد الكلية، فهي بدعة باعتبار هيئتها الإجتماعية، لا باعتبار أفرادها لوجود أفرادها في العهد النبي ﷺ كما علم من الأدلة السابقة، فكل ما لم يكن في الصدر الأول بهيئة الإجتماعية لكن أفراده موجود يكون مطلوباً شرعاً لأن ما تركب من المشروع فهو مشروع كما لا يخفى، قال الإمام الشافعي رحمه الله: «ما أحدث وخالف كتاباً أو سنة أو إجماعاً أو أثراً فهو البدعة الضالة، و ما أحدث من الخير ولم يخالف شيئاً من ذلك فهو المحمود»^١ وجرى الإمام العز بن عبد السلام والنووي وابن الأثير على تقسيم البدعة إلى ما أشرنا إليه سابقاً.

وقول المتعصب: ان هذا لم يفعله السلف ليس هو دليل له بل هو عدم دليل كما لا يخفى على من مارس علم الأصول. فقد سمي الشارع بدعة الهدى سنة ووعد فاعلها اجرا، فقال ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء»^٢.

ينبغي أن يكون الإحتفالات خاليا من المنكرات

فكل ما ذكرنا سابقاً من الوجوه في مشروعية إحتفالات المولد الشريف إنما هو إحتفالاته التي خلت من المنكرات المذمومة التي يجب الإنكار عليها، أما إذا اشتمل على شيء مما يجب الإنكار عليه كإختلات الرجال بالنساء وإرتكاب المحرمات وكثرة الإصراف مما لا يرضى به صاحب المولد الشريف ﷺ فهذا لاشك في تحريمه ومنعه، لكن تحريمه حينئذ عارضياً لا ذاتياً كما لا يخفى على من تأمل.

^١ . فتح الباري ابن حجر - باب الإقتداء بسنن رسول الله ﷺ : ج ١٣ ص ٢٥٣. وأخرجه البيهقي في مناقب الشافعي : رقم ٤٦٨. وجامع العلوم والحكم للإمام زين الدين أبي الفرج ابن الفرج البغدادي : م ٧٩٥. وحاشية إعانة الطالبين لأبو بكر المشهور بالبكري الدمياني : م ١٣٠٢ ج ١ ص ٣١٣.

^٢ . رواه صحيح المسلم والنسائي وأحمد بن حنبل وغيرهم رحمهم الله.

رأي الشيخ ابن تيمية في المولد

وهو يقول: قد يثاب بعض الناس على فعل المولد وكذلك ما يحدثه بعض الناس، إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام، وإما محبة للنبي صلى الله عليه وآله وتعظيماً له، والله تعالى قد يثيبهم على هذه المحبة والإجتهاد لا على البدع.

ثم قال : واعلم أن من الأعمال ما يكون فيه خير لإشتماله على أنواع من المشروع وفيه أيضاً شرٌّ من بدعة وغيرها فيكون ذلك العمل خيراً بالنسبة إلى ما اشتمل عليه من أنواع المشروع وشرّاً بالنسبة إلى ما اشتمل عليه من الأعراض عن الدين. وهذا قد ابتلى به أكثر الأمة في الأزمان المتأخرة فعليك ههنا بأدبين:

أحدهما: أن يكون حرصك على التمسك بالسنة باطناً وظاهراً في خاصتك وخاصة من يطيعك وأعرف المعروف وأنكر المنكر.

الثاني: أن تدعو الناس إلى السنة بحسب الإمكان فإذا رأيت من يعمل هذا ولا يتركه إلا إلى شر منه فلا تدع إلى ترك منكر بفعل ما هو أنكر منه أو بترك واجب أو مندوب تركه أضرب من فعل ذلك المكروه.

لكن إذا كان في البدعة نوع من الخير فعوض عنه من الخير المشروع بحسب الإمكان إذ النفوس لا تترك شيئاً إلا بشيء، ولا ينبغي لأحد أن يترك خيراً إلا إلى مثله أو إلى خير منه.

ثم قال فتعظيم المولد وإتخاذه موسماً قد يفعله بعض الناس ويكون فيه أجر عظيم لحسن قصده وتعظيمه لرسول الله صلى الله عليه وآله، كما قدمته لك أنه يحسن من بعض الناس ما يستقبح من المؤمن المسدد.

ولهذا قيل للإمام أحمد عن بعض الأمراء: أنه أنفق على مصحف ألف دينار ونحو ذلك، فقال: دعهم، فهذا أفضل ما أنفق فيه الذهب، أو كما قال. مع أن مذهبه أن زخرفة المصاحف مكروهة. وقد تأول بعض

الأصحاب أنه أنفقها في تجويد الورق والخط. وليس مقصود أحمد هذا، وإنما قصده أن هذا العمل فيه مصلحة، وفيه أيضا مفسدة كره لأجلها.^١

وجود المنهيات في محافل المولد

لاشك أن هناك بدعا ومخالفات تقع في حفلات المولد النبوي التي تتعقد في بعض البلاد الشرقية الإسلامية والهند، وقد حذرنا منها ونبها إلى ضررها وشرها كثيرا.

ولكن شيئا من ذلك لا يقع بفضل الله في المجالس والمحافل والاجتماعات التي تتعقد في أفغانستان وأطرافه.

وإنما نذكر ما يقع في بعض البلدان الإسلامية من البدع في محافل المولد:

فمنها : إختلاط الرجال بالنساء، وهو من أعظم ابواب الشر وأكبر أسباب الفتنة كما جاء في الحديث.

ومنها : ما يفعله بعض الجهال في بعض البلاد من اللهو واللعب والغناء المحرم، وما يتبع ذلك من السهر في معصية الله والإستهانة بمحارم الله فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ومنها : ما يحصل من بعض من يحتفل بالموالد من فعل المنكرات والتهاون بالصلاة والتعامل بالريا وتضييع السنن الظاهرة والباطنة.

ومن أقبح أنواع الغفلة والإعراض عن الخير وعن الذي جاء به النبي ﷺ أن يحتفل بعض الناس بالمولد في ليلة ما، ثم يهجرونه بقية أيام السنة فلا يجتمعون على سيرته ولا يذكرون اخباره، وهي أعمال لا يشك عاقل مسلم في صلاحها وحسنها وفضلها، ولكن الواجب أن لا يقتصر فعلها على شهر ربيع فقط، بل الواجب على المسلمين أن يقوموا بذلك دائما وابدأ في كل أيام السنة، لأن ذكرى الرسول ﷺ لا تحدد بأوقات ولا تكف

^١ . إقتضاء الصراط المستقيم : ج ٢ ص ١٢٤ .

فيها أيام مخصوصة، إنها حياة المسلم التي ينبغي أن يعيشها يوميا، وأن يتذكرها في جميع شؤون حياته، وينبغي أن تكون هذه الاجتماعات مفتاحا للتنبيه على هذه الحقائق والإرشاد إلى هذه المعاني الجليلة.

فلو سلم المولد النبوي من البدع التي ذكرناها وغيرها لكان أعظم وسيلة للخير وأجل باب للدعوة إلى الله تعالى.

فإن قيل : قد يرى في مجالس المولد من السفهاء الغوغا واللهو والعب وفعل المنكرات؟

فنقول له : هذا ليس خاصا بإجتماع المولد النبوي الشريف بل إنه يقع من هؤلاء في كثير من الأماكن التي يحصل فيها إجتماع الناس مغتربين تلك الفرصة ليستروا تحتها، وهذا لا يخلو منه أي إجتماع مشروع كما يشاهد ذلك في المساجد والمدارس وبيوت العروس والمسابقات والمظاهرات عند ما يقع الازدحام، أو في الاجتماعات السنوية التي لا يختلف أحد في مشروعيتها كالإجتماع لصلاة عيد الفطر وعيد الضحى وغير ذلك من المشاهد، وكل هذا لا يقدح في أصل الإجتماع. فهل يصح أن يقول عاقل ينبغي منع هذه الاجتماعات المشروعة لما يقع فيها من بعض المخالفات والمنكرات التي تحصل من الجهلة ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

ولو أنصف الناظر و تدبر الناهي الأمر وفكر لقال : يجب أن نمنع جميع المنكرات، وأن نحارب كل البدع التي تقع في أي إجتماع أو إحتفال سواء كان للمولد أو للمعراج أو للحج أو للعمرة أو للعديد أو للتراويح، وسواء أكان ذلك في المساجد أو في البيوت أو في الزوايا.

أقول : لو دعا المرشدون الناصحون الناس إلى محاربة البدع والمنكرات من حيث هي بدع ومنكرات سواء كانت في إجتماع المولد أو غيره، لكان ذلك عين الصواب. ولقام معهم في هذا الباب كل عاقل فاهم وغيور ناصح حريص على الخير داع إلى الهدى.

دفع الشبهات والاعتراضات

اعلم أن المولد الشريف في حقيقته عندنا ماهو إلا إجتماع يقصد منه سماع سيرة النبي ﷺ وتذكر منة الله ﷻ وفضله على الأمة بهذا النبي الكريم الرؤف الرحيم ﷺ. وهناك علل واهة و شبه ساقطة يتمسك بها المنكرون للمولد وينادون بها في كل عام.

منها : أن الإحتفال بالمولد زيادة في الشريعة وتكميل للدين لأنه لو كان خيرا لفعله النبي ﷺ؟

قلنا : هذه العلة معلولة، لأنه لا أحد من عوام المسلمين يعتقد أو يظن ذلك فضلا عن علمائهم.

وليس كل ما لم يفعله النبي ﷺ والسلف، وفعله من بعدهم، يعتبر تكميل للدين وإستدراكا على الشريعة، حاشا وكلا، وإلا فأين باب الإجتهد؟ وماذا يقولون في ألوف المسائل الإجتهدية التي ظهرت فيما بعد القرون الفاضلة؟ هل هي تكميل للدين أيضاً؟ وهل يصح أن يقال : أنها فاتت عن النبي ﷺ والسلف؟ وإنهم نسوا ذلك أوقصروا فيه أو جهلوه؟ سبحانه هذا بهتان عظيم. ومن الذي إدعى أن المولد من الكيفيات التعبدية المنصوص عليها بعينها، مثل الصلاة والزكاة؟ فهذا إدعاء كاذب وباطل، وقد تقدم الرد على هذه الفرية بما فيه الكفاية.

ومنها : أن الإحتفال بالمولد بدعة، لأن أول من إخترعها الملك المظفر أبوسعيد الكوكبري.

قلنا : الجواب عن هذه العلة هو ما قررناه سابقا من أن أول المحتفلين بالمولد هو صاحب المولد نفسه وهو سيدنا محمد ﷺ وذكرنا الدليل على ذلك وهذا لا خلاف فيه. وإنما الخلاف في الكيفية والطريقة التي تطورت وتغيرت وهي ليست أمراً نصياً. على أنه قد اعتنى به الناس قبل الملك المظفر وأفوا فيه الكتب المخصصة لذلك.

الملك المظفر الكوكبري من هو؟

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في البداية : الملك المظفر أبوسعيد الكوكبري أحد الأجواد والسادات الكبراء والملوك الأمجاد، له أثار حسنة، وكان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول ويحتفل به إحتفالاً هائلاً، وكان مع ذلك شهماً شجاعاً فاتكاً عاقلاً عالماً عادلاً رحمه الله وأحسن مثواه ^١.

فانظر إلى هذا المدح وإثناء على الملك المظفر من ابن كثير، أنه وصفه بأنه عالم عادل شجاع إلى قوله رحمه الله وأحسن مثواه، ولم يقل فاسق فاجر مرتكب للحرام كما هي دعوى المعارض المخالف.

وقال الحافظ الذهبي عند ترجمة الملك المظفر ما نصه : كان متواضعاً خيراً سنياً يحب الفقهاء والمحدثين ^٢.

أقوال أئمة الهدى في الإحتفال بالمولد

قال الحافظ جلال الدين السيوطي تحت عنوان «حسن المقصد في عمل المولد» وقع السؤال عن عمل المولد النبوي ﷺ في شهر «ربيع الأول»، ما حكمه من حيث الشرع، وهل هو محمود أو مذموم، وهل يثاب فاعله أولاً؟

والجواب عندي، أن أصل عمل المولد الذي هو إجتماع الناس، وقراءة ما تيسر من القرآن، ورواية الأخبار الواردة في بداية أمر النبي ﷺ وما وقع في مولده من الآيات، ثم يمد لهم سماط ياكلونه و ينصرفون من غيره زيادة على ذلك، هو من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها، لما فيه من تعظيم قدر النبي ﷺ. وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف ^٣.

١ . البداية والنهاية : ج ١٣ ص ١٣٦ مكتبة المعارف.

٢ . سير أعلام النبلاء : ج ٢٢ ص ٣٣٦.

٣ . الحاوي للفتاوى : ج ١ ص ١٨٩.

فإن قيل: إن يوم ولادته هو نفس يوم وفاته فليس الفرح باولى من الحزن، وكان الأولى بالمحب أن يتخذ هذا اليوم مأتما ويوم حزن؟

فنقول: في الجواب ما قال الأمام الحافظ السيوطي في الحاوي للفتاوى إن ولادته ﷺ أعظم النعم، و وفاته أعظم المصائب لنا، والشرعية حثت على إظهار شكر النعم، والصبر والسكون عند المصائب.

وقد أمر الشرع بالعقبة عند الولادة، وهي إظهار شكر وفرح بالمولد ولم يأمر عند الموت بذبح عقبة ولا بغيره، بل نهى عن النياحة وإظهار الجزع، فدللت قواعد الشريعة على أنه يحسن هذا الشهر إظهار الفرح بولادته ﷺ، دون إظهار الحزن فيه بوفاته. وقد قال ابن رجب في كتابه «اللطائف» في ذم الرافضة: حيث اتخذوا يوم عاشوراء مأتما لأجل مقتل الحسين ولم يأمر الله ﷻ ولا رسوله ﷺ باتخاذ أيام مصائب الأنبياء و موتهم مأتما، فكيف ممن دونهم.^١

والحاصل: أن كثيرا من أصحاب هذه الاعتراضات ينطبق عليهم حديث الذي أخرجه أبو يعلى عن حذيفة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «إن ما أتخوف عليكم رجل قرأ القرآن حتى إذا رُئيت بهجته عليه، وكان ردنا للإسلام، غيَّره إلى ما شاء الله، فانسلخ منه ونبذه وراء ظهره، وسعى على جاره بالسيف، ورماه بالشرك» قال: قلت: يا نبي الله، أيهما أولى بالشرك، المرمي أم الرامي؟ قال: «بل الرامي».^٢ قال الحافظ ابن كثير إسناده جيد.^٣

١ . الحاوي للفتاوى : ج ١ ص ١٨٥ .

٢ . صحيح ابن حبان : ج ١ ص ٢٨٢ . المطالب العالية لابن حجر : ج ١٧ ص ٦١٠ ر ٤٣٥٦ .

٣ . تفسير ابن كثير : ج ٣ ص ٥٠٩ .

إزالة الشبهة

فإن قيل : أن خبر عتق أبي لهب لثوية مولاته لما بشرته بولادة النبي ﷺ أثر باطل، لأنه رؤيا منام لاحجة فيه، وأنه مخالف للقرآن ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح أنه رؤيا منام لاحجة فيه.

قلنا : هذا ابن حجر الذي استدل بكلامه هنا، و وصفه بالحافظ وهو ابن حجر نفسه الذي استتبط تخريج المولد على أصل صحيح مستدلا له بحديث صوم عاشوراء كما تقدم، ولكن المنكر المخالف لم يأخذ بكلامه هناك، بل يقول أن استدلال ابن حجر بحديث صيام عاشوراء استدلال باطل، وقياس فاسد. فانظروا أيها الإخوان إلى اعوجاج مسلك هذا المخالف، فإنه إذا استدل بقول ابن حجر، ويظن أن إجهاده يوافق هواه فيقول : «الحافظ ، العالم ، الإمام» وإذا كان إجهاده يخالف هواه، فلا يذكر هذه الأوصاف، ويرد قوله بأنه «باطل، فاسد».

وأزيدك علما وبيانا عن جهل الجاهلين المنكرين المستدلين بكلام ابن حجر في رد خبر ثوية بأنه رؤيا منام لاحجة فيه، بأن هذا الناقلين حرفوا كلام ابن حجر وتصرفوا فيه بما يوافق هواهم، كما هو عادتهم يقطعون الكلام عن أصله ولم يأتوا به على وجهه الصحيح، ولو جاؤوا به كاملا لردهم على عقبيهم مخذولون. فان الحافظ ابن حجر رد هذا الاعتراض، و بين في خاتمة بحثه أنه يجوز أن يتفضل الله بما شاء على أبي لهب كما تفضل على أبي طالب، والمتبع في ذلك التوقيف نفيا وإثباتا، التفضيل المذكور إكراما لمن وقع من الكافر البر له ونحو ذلك.